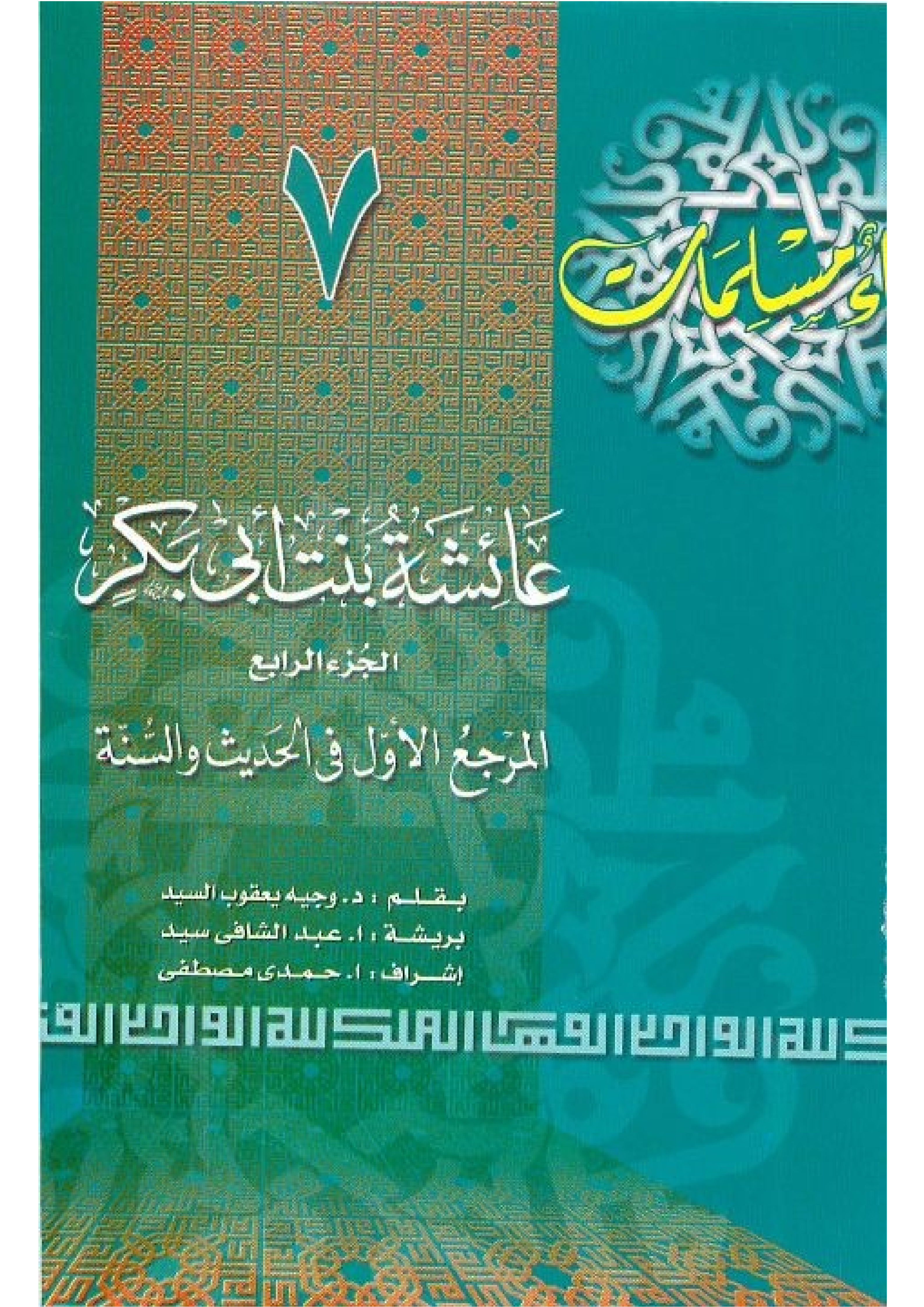

أمهات المؤمنين
٧
عائشة بنت أبى بكر
الجزء الرابع
المرجع الأول فى الحديث والسنة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

بعدَ أنْ أنزلَ اللّهُ براءةَ (عائشةَ رضى اللّهُ عنها) ، عادتْ إلى بيتِ الرسولِ ﷺ ، لتُشيعَ فيه البهجةَ والسرور ، بما كانتْ تملكهُ من روحٍ جميلةٍ ودعابةٍ بريئة ، عادتْ لتملأَ حياةَ الرسولِ ﷺ بالحبِّ والمودَّة ، وكانَ الرسولُ ﷺ يقولُ لها :

ـ حبكِ يا (عائشةُ) فى قلبى كالعروةِ الوُثْقَى .

وكانتْ (عائشةُ) يُسعدها ذلكَ ، وتباهى به زوجاتِ النبىِّ ﷺ وتقولُ :

ـ أيةُ امرأةٍ كانتْ أحظَى عندَ زوجٍ منى !

ولمْ يكنْ حبُّ الرسولِ ﷺ لـ (عائشةَ) يخفَى على أحد ، فقدْ سألهُ (عمروُ بنُ العاصِ) مرةً :

ـ يا رسولَ اللّه ، مَن أحبُّ الناسِ إليك ؟

فقالَ ﷺ :

ـ (عائشةُ) .

فقال (عمروُ بنُ العاصِ) :

ـ منَ الرجالِ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أبوهَا .

وكانَ الرسولُ ﷺ يحرصُ على إرضائِها وإدخالِ السرورِ إلى قلبِهـا ، وعندمَا كانتْ (عائشةُ) تغضبُ منهُ ﷺ ، كان يعرفُ ذلكَ منْ حديثِها ، فيسارعُ إلى إرضائِها .

فذاتَ يومٍ قالَ لها ﷺ :

ـ إنى لأعْلمُ مـتى كنتِ عنِى راضِـيةً وإذا كنتِ علىَ غضْبىَ .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ ومِنْ أينَ تعرفُ ذلكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أمَّا إذا كنتِ راضيةً فإنكِ تقولينَ : لا ، وربِّ (محمدٍ) ، وإذا كنتِ غضبَى قلتِ : لا ، وربِّ (إبراهيمَ) .

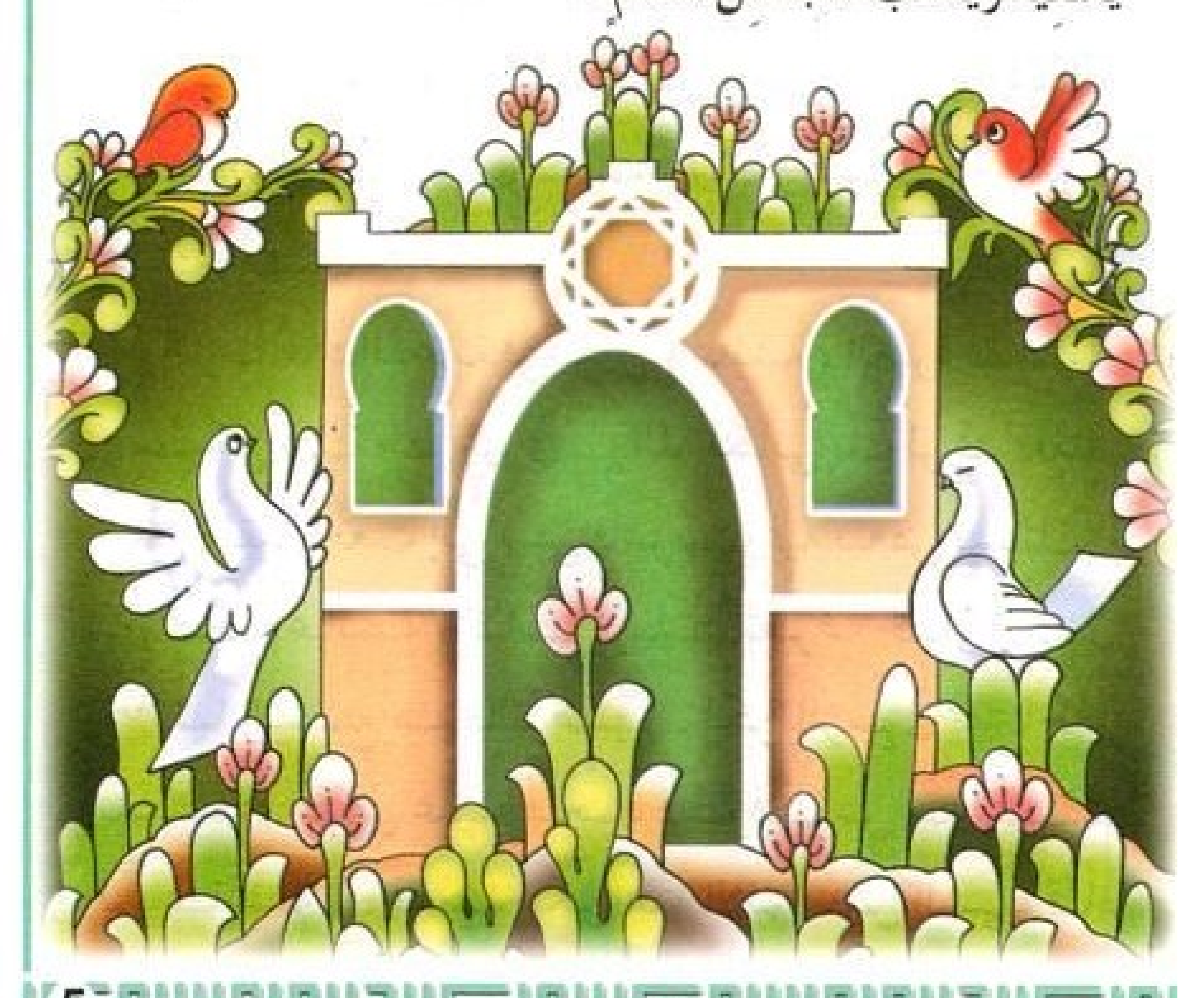
فقالتْ (عائشةُ) :

ـ أجلْ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ولكنْ ما أهجرُ إلا اسمكَ .

وظلتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) تقومُ بواجبِها نحوَ

زوجِها ﷺ فتأسُو جراحَهُ وتداوى آلامَهُ ، وتقفُ خلفَهُ فى مراحلِ الدعوةِ إلى اللَّه ، فتشيرُ عليهِ بالرأىِ ، وتحفظُ عنهُ ما يقولُ وما يفعلُ حتى تبلِّغَهُ إلى المسلمينَ فيعملُوا به .

ولما شاءتْ إرادةُ اللَّه أنْ يقبضَ إليهِ حبيبَهُ المصطفى ﷺ ، بعدَ أنْ أدّى الأمانةَ وبلّغَ الرسالةَ ونصحَ الأمةَ ، كانتْ (عائشةُ) بجوارِهِ تداويهِ وتخففُ عنهُ ، وتدعو اللَّهَ أنْ يشْفيَهُ ويُذهبَ ما بهِ منْ سقامٍ .



فقدْ مرَّ الرسولُ ﷺ بـ (عائشة) ، فوجدها تشكُو ألـمًا في رأسها وتقولُ :

ـ وا رأساه .

فقال لها ﷺ :

ـ بلْ أنا واللَّه يا (عائشةُ) وا رأساه .

لكنَّ ألمَ الرسول ﷺ لم يكنْ قد اشتدَّ إلى الحدِّ الذى يُلزمُه الفراشَ ، أو يمنعُه من مداعبة أهله والتلطُّف معهمْ ، فلما كررتْ (عائشةُ) الشكوى من رأسها ، قال يداعبُها :

وما ضرَّكِ لوْ متِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفنتك ، وصليتُ عليك ودفنتك ؟

وأثارتْ هذه الدعابةُ فى نفسِ (عائشةَ) الغيرةَ فقالتْ :

ـ ليكنْ ذلكَ حظَّ غيرى ، واللَّه لكأنِّى بكَ لوْ قدْ فعلت ذلك ، لقدْ رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعضِ نسائك .

وكأنَّ (عائشةَ) كانتْ تريدُ أنْ تعرفَ حبَّ الرسول ﷺ لها وتسمعَ منه ما يرضيها ، لكنَّ الرسول ﷺ أحسَّ باشتداد المرض عليه فجأةً فتوقفَ عن مداعبته لـ (عائشةَ) ، فلما سكنَ عنهُ الألمُ بعضَ الشىء قام

يطوفُ بأزواجه كما عوّدهُنَّ ، لكنّ الألم جعل يشتدُّ عليه ، فاستأذَنَ من أزواجه أنْ يبقى في بيت (عائشةَ) في فترة مرضه ، فأذن له أزواجهُ بذلك ، فخرج ﷺ عاصبًا رأسهُ ، يعتمدُ في مسيرته على (عليٍّ بن أبي طالبٍ) وعلى عمه (العباسِ) ، وقدماهُ لا تكادان تحملانه حتى دخل بيت (عائشة) ، فمكث عندها طيلةَ فترة مرضه .



وانتقلَ النبىُّ ﷺ إلى بيتِ الحبيبةِ لتمرِّضَهُ وتداويه ، ولمَّا جاءَ وقتُ الصلاةِ لم يستطعْ أنْ يقومَ ويصلِّى بالناسِ فقالَ :

- مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّى بالناسِ .

فقالتْ (عائشةُ) :

- يا رسولَ اللَّه ، إنَّ (أبا بكرٍ) رجلٌ ضعيفٌ ، وإنهُ متى قامَ مقامَكَ لم يصلْ صوتُهُ إلى المسلمينَ ، فلوْ أمرتَ (عمرَ) .

فقالَ ﷺ :

- مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّى بالناسِ .

ووضعَ الرسولُ ﷺ رأسهُ فى حجرِ (عائشةَ) ، وراحتْ تتأملُهُ بدهشةٍ وهى تراهُ يشخصُ ببصرِهِ إلى السماءِ ويقولُ :

- بلِ الرفيقُ الأعلى منَ الجنة .

وأدركتْ (عائشةُ) أنَّ الرسولَ ﷺ قد اختارَ جوارَ ربِّه ، فقالتْ وهى تضعُ رأسهُ على الوسادة :

- خيِّرتَ فاخترتَ والذى بعثكَ بالحقِّ .

ولم يصدقِ المسلمونَ النبأَ ، أحقًا ماتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟

وهنا قامَ (أبو بكرٍ الصديقُ) بأعظمِ دورٍ فى تاريخِ الإسلامِ فقدْ قالَ فى يقينٍ :

ـ أيها الناسُ ، إنهُ من كانَ يعبُدُ (محمدًا) فإنَّ (محمدًا) قدْ ماتَ ، ومنْ كانَ يعبدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حيٌّ لا يموتُ .

ثم تلاَ عليهِمْ قولَهُ (تعالَى) :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ



مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٤٤]

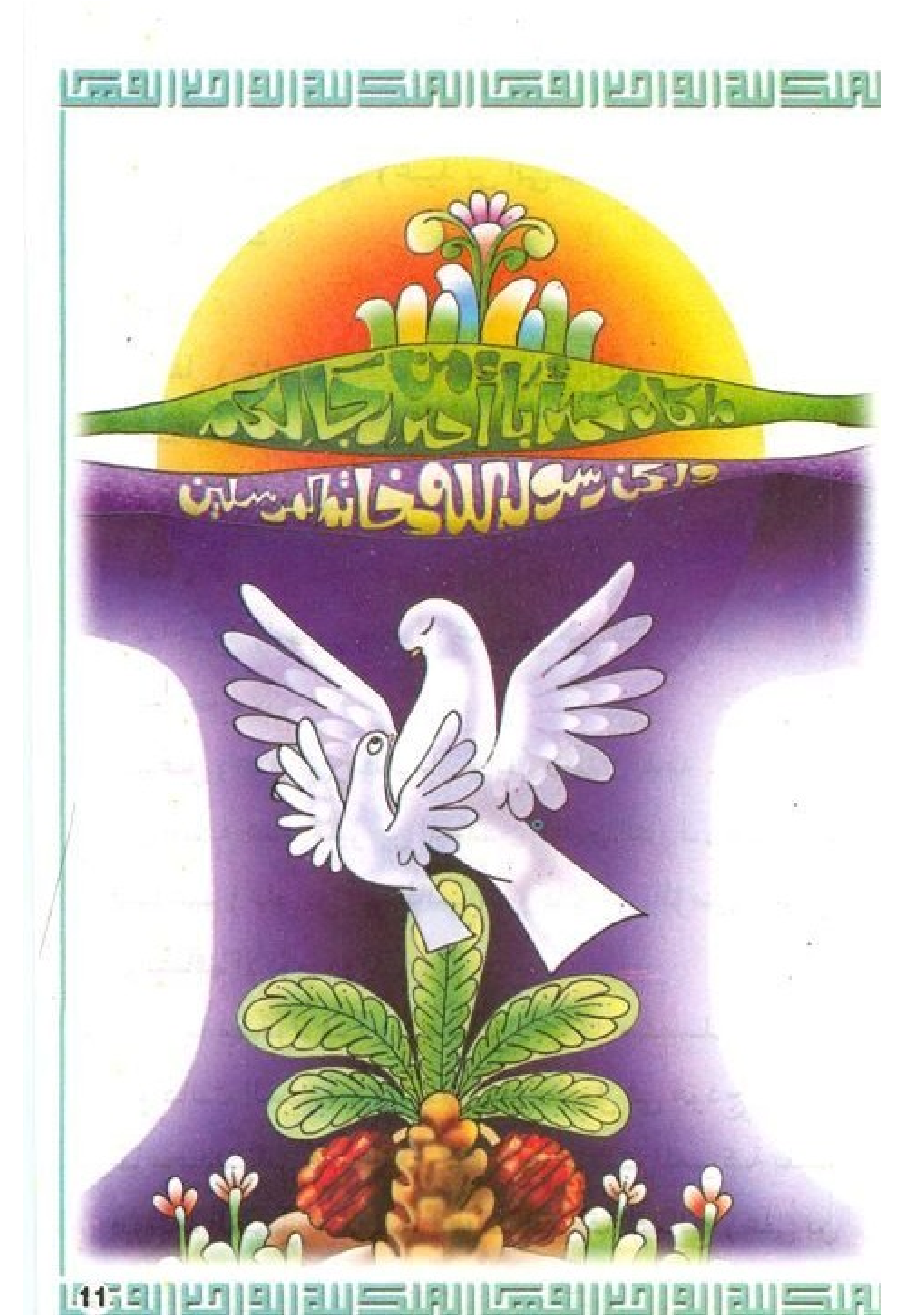
وأفاق المسلمون على هذه الحقيقة الأليمة ، ولأول مرة تنهمر دموعهم بهذه الغزارة ، وتُظْلم الحياةُ أمامهم وقالوا :

ـ واللَّه ، لكأننا نسمعُ هذه الآية لأول مرة ، وما نعلمُ أنها نزلت إلا حين قرأها (أبو بكر) .

وعاشت (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) بعد الرسول ﷺ زمناً طويلاً ، وأصبحت خلال هذا الزمن المرجع الأول للمسلمين في الحديث والسنة والفقه ، حتى قال العلماءُ عنها :

ـ لقد حفظت (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) نصف أحكام الشريعة .

ولم تعش (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) بمعزل عما يحدثُ على الساحة الإسلامية ، فقد شاركت في الأحداث مشاركةً إيجابية ، وكان لها موقفٌ معروفٌ ، فبعد أن حاصر الثوارُ والمتمردون بيت (عثمان بن عفان) وقتلوهُ ظلماً وبغياً ، جاء الخبرُ إلى (عائشة) وهي في طريقها


ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم المرسلين

إلى مكةَ حيثُ لقيها (عُبَيْدُ بنُ أبى سلمةَ) فقالتْ لهُ :

ـ ما وراءَكَ ؟

فقالَ :

ـ قُتلَ (عثمانُ رضي الله عنه) بأيدى البُغاة الأشرار .

فسألتهُ قائلةً :

ـ وماذا صنعَ الناسُ بعدهُ ؟

فقالَ :

ـ اجتمعَ رأيهمْ وبايعوا (علىَّ بنَ أبى طالبٍ) .

فقالتْ :

ـ قتلَ (عثمانُ) مظلوما ، واللّه لأطلبنَّ بدمه .

واجتمعَ عددٌ كبيرٌ من المسلمينَ طالبينَ الثأرَ لـ (عثمانَ) ، فلما علم (علىٌّ بن أبى طالبٍ) ، وكانَ أميرَ المؤمنينَ وخشىَ أنْ تتفاقَمَ الأُمورُ ، وقال :

ـ إنها ستكونُ فتنةً وسأُمسكُ الأمرَ ما استمسكَ بيدى .

وكانت السيدةُ (عائشةُ) على جملٍ فى هودجٍ تراقبُ ما يحدث فى أثناء المعركة ، وسميتِ المعركة باسمِ « واقعَةِ الْجملِ » ، ولمَّا انتهتِ المعركةُ لصالحِ (علىِّ بنِ



أبي طالب) ، أمر جنوده أنْ يحسنوا إلى أمِّ المؤمنين (عائشةَ) ، وقدْ أحسنَ الإمامُ (عليٌّ) إليها ، ولمَّا كانَ يومُ رحيلِها حضرَ الإمامُ (عليٌّ) ليودعَها بنفسه ، وأحسَّتْ (عائشةُ) بما في نفسِ (عليٍ) من عتابٍ فقالتْ :

ـ يا بنيَّ ، لا يعتبْ بعضٌ على بعضٍ ، إنهُ واللَّهِ ما كانَ بيني وبينَ (عليٍ) في القديمِ ، إلاَّ ما يكونُ بينَ المرأةِ وأحمائِها ، وإنهُ علَى معتبتي لمنَ الأخيارِ .

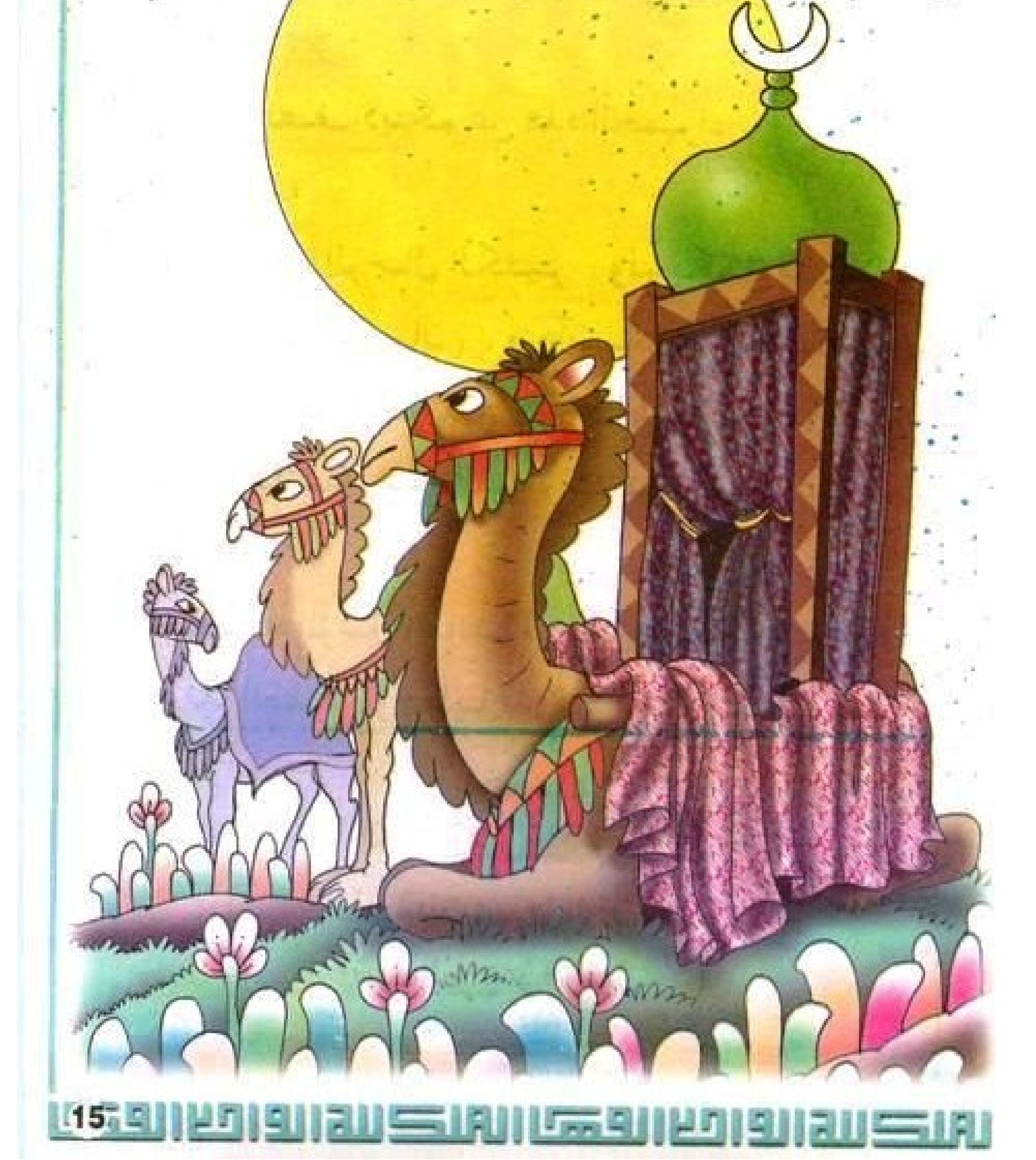
فقالَ (عليٌّ) :

ـ أجلْ واللَّه ، ما كانَ بيني وبينَها إلاَّ ذاكَ ، وإنها لزوجةُ نبيِّكُم في الدنيا والآخرة .

وبقيتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تشاركُ في الأحداثِ السياسيةِ والاجتماعيةِ ، وتجتهدُ رأيَها ما استطاعتْ ، فإنْ أصابتْ فلها أجرانِ ، وإنْ أخطأتْ فلها أجرٌ واحدٌ ، كما قالَ رسولُ اللَّه ﷺ .

وقدْ توفيتْ (رضيَ اللَّهُ عنها) عنْ عمرٍ يناهزُ السادسةَ والستينَ وذلكَ عامَ سبعةٍ وخمسينَ للهجرة ، وصلَّى عليها (أبو هريرة رضي الله عنه) ، ثمَّ دُفنتْ بالبقيعِ مع أمهاتِ المؤمنينَ .

ولئنْ كانتْ (عائشةُ) قدِ انتقلتْ إلى جوارِ ربِّها ووَدَّعها المسلمون ، فقدْ تركتْ من العلمِ الغزيرِ والأحاديثِ الشريفةِ ما يذكُرُ المسلمين بها في كلِّ حينٍ ،



فلا يخلُو كتابٌ منْ كتبِ الأحاديثِ منْ حديثٍ روَتْهُ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ويكفي أنَّ الرسولَ ﷺ أوْصَى المسلمينَ بأنْ يأخُذُوا عنها العلْمَ فقالَ ﷺ :

ـ خذُوا نصفَ دينكمْ عنْ هذهِ الحُمَيْراءِ .

وقالَ ﷺ :

ـ كملَ منَ الرجالِ الكثيرُ ، ولمْ يكمُلْ منَ النساءِ إلاَّ (مريمَ ابنةَ عمرانَ) ، و (آسيةَ) امرأةَ (فرعونَ) ، و (خديجةَ بنتَ خويلدٍ) ، و (فاطمةَ بنتَ محمدٍ) ، وفضلُ (عائشةَ) على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ . .

رحمَ اللَّهُ أمَّ المؤمنينَ (عائشةَ) رحمةً واسعةً ، ونفعَ المسلمينَ بسيرتِها العطرةِ ، وجعلَها قدوةً لنسائنَا وبناتنَا وأخواتنَا .

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

حفصة بنت عمر بن الخطاب (١)

(شرف الزواج من الرسول ﷺ)

رقم الإيداع : ٣٦٤٤/٢٠٠١

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٥٨١ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧